الإسلام وضرورات الحياة

دكتور عبد الله بن أحمد قادري

دار المجتمع للنشر والتوزيع

مقدمة الطبعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه.

أما بعد ، فهذه هى الطبعة الثانية لكتاب الإسلام وضرورات الحياة وهى تمتاز بالتصحيح والتنقيح وبترتيب بعض مباحثها ترتيباً جديداً بتقديم أو تأخير مراعاة للتناسب فى ذلك وأسأل الله أن ينفع به ويكتبه فى ميزان حسناتى ويجعله خالصاً لوجهه الكريم .

١٤١٠/٥/١٥ المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

ⓒ دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٢٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

قادري ، عبدالله بن أحمد

الإسلام وضرورات الحياة - ط٣ الخبر

١٩٦ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك : ٢ - ٣٥ - ٧٧٦-٩٩٦٠

١- الإسلام - مبادئ عامة أ - العنوان

ديوي ٢١١ ٢٢/١٧١٦

رقم الإيداع ٢٢/١٧١٦

ردمك : ٢ - ٣٥ - ٧٧٦-٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م

الطبعة الثانية ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

الطبعة الثالثة ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م

دار المجتمع للنشر والتوزيع

جدة : ميدان الجامعة ص.ب: ٤٠٨٤٥ - الإدارة: ٦٨٩١٤١٧

جدة : ٢١٥١١ - ت: المكتبة ٦٨٩٤٤٦١

الخبر : شارع الأمير نايف ص.ب: ٢٣٢١

الخبر: ٣١٩٥٢ -تلفون وفاكس: ٨٩٤١١٣٦ - ٨٩٣١١٥٨

المدينة : ت : ٨٢٣٦٣٠٦

فاكس : ٨٢٣٦٣٠٦

خطبة الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

«يا أيُّها الّذين آمنوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وأَنْتُمْ مُسْلِمُون[1] .

« يَا أيُّها النَّاسُ اتَّقوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ، وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً ، واتَّقُوا الله الَّذِى تَسَاءلُونَ بِهِ والأرْحَامَ ، إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً[2] .

« يَا أيُّها الَّذِينَ آمنوا اتَّقُوا الله وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً »[3] .

أما بعد[4] فإن من أجل نعم الله على عباده أن حباهم بدينه القويم الذى لا حياة لهم بدونه فى الدنيا ولا سعادة يوم الدين ، يحل رضوانه على اتباعه الغر الميامين ، وينزل سخطه بمن حاد عن صراطه المستقيم :

« قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فإمَّا يأتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . والَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بآيَاتِنَا أُولَئِكَ أصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون »[5] .

---

(١) سورة آل عمران :١٠٢ .

(٢) النساء : ١ .

(٣) الاحزاب : ٧٠ ،٧١ .

(٤) راجع فى مشروعية البدء بهذه الخطبة : خطبة الحاجة لشيخنا المحدث الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ، وهى رسالة مستقلة بتخريج الاحاديث الواردة فيها .

(٥) البقرة : ٣٨،٣٩ .

من تمسك بهذا الدين نال السعادة فى الدنيا والأخرى ومن ضَلَّ عنه خاب فيها وتردى : « قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّى هُدًى فَمَن اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى »[1] .

أكمل الله بدين الإسلام كل الأديان ، وختم بالقرآن المنزل على محمد ﷺ كل الكتب ، ورضي للناس كلهم هذا الدين ، ولم يقبل من احد منهم دينا غيره : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً »[2] « إِنَّ الدِّين عِنْدَ الله الاسلام »[3] « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الاسلام دينا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »[4] .

لذلك كان حفظ هذا الدين الضرورة الأولى التى لا حياة بدونها للبشر إلا اذا كانت حياة ضنك وشقاء ، وقد تعددت وسائل حفظ هذا الدين فى كتاب الله ، فمنها حفظ اصوله من التغيير والتبديل ـ أى حفظ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ـ وقد تكفل الله بحفظهما فحفظ كتابه المنزل من تحريف المبطلين وكيد الكائدين ، كما قال تعالى : « إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون »[5] .

وهيأ الله لسنة رسوله ﷺ علماء الملة من اهل الحديث الذين عنوا بتدوينه وحفظ أسانيده وتمحيص الصحيح من الضعيف ، والصدق من الكذب ، كما هيأ علماء أصول الفقه وأئمته لتأصيل الأصول وتقعيد القواعد ليؤخذ كل فرع من اصله ، ويعود كل حكم إلى قاعدته ، ووفق أئمة الفقه فى الدين لاستنباط الأحكام من أدلتها والتوفيق بين ما قد يظهر لأول وهلة من

---

(١) طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) آل عمران : ١٩ .

(٤) آل عمران : ٨٥ .

(٥) الحجر : ١٥ .

تعارض بعضها مع بعض ، وفتح لهم باب الاجتهاد ليبينوا لكل حادثة تحدث حكما إما أخذا له من النصوص العامة والمطلقة ، وإما اعطاء للنظير حكم نظيره .[١] .

وتوعد سبحانه وتعالى من كتم شيئا من بيان هذا الدين للناس بأعظم الوعيد ، ليبقى الدين معلوما عند الناس محفوظا بالعلم والعمل ، كما قال تعالى : « إنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُون مَا أنْزَلْنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِى الْكِتَابِ أولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأصْلَحُوا وبَيَّنُوا فأُولَئكَ أتُوبُ عَلَيْهِمْ وأنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » [٢] .

ومن وسائل حفظ هذا الدين أمر الله سبحانه وتعالى كل فرد من أفراد البشر أن يقوم بعبادة ربه التى فرضها عليه فرض عين وتوعد تعالى من توانى عنها بالوعيد الشديد ، كما قال تعالى : « يا أيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُمْ وَالَّذِين مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَتَّقُون »[٣] وقال تعالى : « إنَّ الَّذين يستكْبِرُون عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَمَ دَاخِرِينَ »[٤] ومن وسائل حفظ هذا الدين ان فرض على القادرين الجهاد فى سبيله لحفظِ هذا الدين ورفع رايته فى الأرض كلها ، كما قال تعالى : « قَاتِلُوا الَّذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالله وَلاَ بالْيَوْمِ الآخِرِ ولا يحرمون ماحرم الله ورسوله وَلاَ يَدِينُونَ دِين الحقّ مِنَ الذين أوتُو الْكِتابَ حتَّى يُعْطُوا الجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وهُمْ صَاغِرُون »[٥] وقال تعالى : « وقاتلوا المُشرِكين كافَّة كما يُقَاتِلُونَكُمْ كافَّةً واعْلَمُوا أنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ »[٦] .

---

(١) راجع الموافقات للشاطبى (٢/٤٠) وما بعدها .

(٢) البقرة : ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٣) البقرة : ٢١ .

(٤) غافر : ٦٠ .

(٥) التوبة : ٢٩ .

(٦) التوبة : ٣٦ .

وتوعد من لم يحفظ هذا الدين بالجهاد فى سبيل الله ، فقال : « يا أيها الَّذين آمنوا مَالَكُمْ إذا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِى سَبِيل الله اثَّاقَلْتُم إلى الأرْضِ أرَضِيتُمْ بالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحياةِ الدُّنْيَا فى الآخِرَةِ الاَّ قَلِيلٌ . إلاَّ تنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أليما و يستَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ولاَ تَضرُّوهُ شَيئا والله على كُلّ شىء قدير »[1] .

ومن وسائل حفظ هذا الدين ان فرض الله على الحكام ان يحكموا بما انزل الله فى كل شىء من حياة البشر وحكم على من لم يحكم به بالكفر والظلم والفسق ، كما قال تعالى : « وَمَنْ لَمْ يحْكُمْ بِمَا أنزلَ الله فأولَئِكَ هُمُ الكافِرُونَ » « وَمَنْ لَمْ يحْكُمْ بِمَا أنزلَ الله فأولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » « ومن لَمْ يحْكُمْ بما أنْزَلَ الله فأولَئِكَ هُمُ الفاسِقُون »[2] .

ومن وسائل حفظه فرضه سبحانه على الناس ان يقبلوا حكم الله برضا واختيار وحكمه على من لم يرض بحكم الله بعدم الايمان به ، كما قال تعالى : « فَلاَ وَرَبّكَ لا يُؤْمِنُونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فيما شَجَرَ بيْنَهُمْ ثُمَّ لا يجِدُوا فى أنْفُسِهِمْ حرجاً مِمَّا قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيماً »[3] .

ومن وسائل حفظه تبيين أحكامه : حلاله وحرامه ، وواجبه ومندوبه ومكروهه ، أصوله وفروعه ، وقد بين ذلك كله رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بأمر من ربه وذلك مقتضى الرسالة : « يَا أيُّهَا الرسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِل إلَيْكَ مِنْ رَبّك وإن لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رسَالَتهُ »[4] « وَأنْزَلْنا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاس مَانُزِّلَ إلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتفَكَّرُونَ »[5] .

---

(١) التوبة : ٣٨ ، ٣٩ .

(٢) المائدة : ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٧ .

(٣) النساء : ٦٥

(٤) المائدة : ٦٧

(٥) النحل : ٤٤

ومامن باب من أبواب حياة الإنسان فى الأرض إلا وفى دين الله مايهديه إلى أقوم سبيل فيه : « إنَ هَذَا القرآن يَهْدى للّتى هىَ أقْوَمُ »[1] « الم ذَلِكَ ٱلكتَابُ لاَرَيْبَ فِيه هُدىً لِلْمُتقينَ »[2] .

والذى يَتَتَبَعُ أبواب الأحكام التكليفية والوضعية ـ أقصد فروعها ـ فى نصوص القرآن والسنة ـ وشروح الحديث وتفسير القرآن الكريم وكتب الفقه ، وكتب الاخلاق وغيرها من الكتب الإسلامية يتضح له ذلك تمام الاتضاح وبحفظ هذا الدين الذى هو الضرورة الأولى من ضرورات الحياة تحفظ بقية الضرورات تبعاً لحفظه ، لأنه يقتضى ذلك ، وتلك الضرورات هى : النفس ، والعقل ، والنسل ، والمال ، والعرض ، وسيأتى إن شاء الله مايوضح ذلك ويبينه ، كل منها فى مبحثه الخاص به .

وقد اخترت أن أبحث فى هذا الموضوع الخطير الذى اتفقت على خطره الأمم على اختلاف مللها ونحلها لأسباب :

السبب الأول : الأثر العظيم المترتب على حفظ هذه الصرورات من السعادة فى الدنيا والآخرة ، أما فى الدنيا فأمن الناس واطمئنانهم وحصول كل منهم على حقوقه وقيامه بواجباته ، وعدم اعتداء أحد على اخر .

وأما فى الآخرة فما تناله الأجيال البشرية التى تحفظ هذه الضرورات من ثواب الله ورضاه الذى هو غاية العباد من ربهم سبحانه وتعالى .

السبب الثانى : انصراف الناس كافة ، وأغلب المسلمين خاصة عن حفظ هذه الضرورات على رغم اتفاق الأمم على ضرورة حفظها ، وعلى رغم مالحق البشرية من آثار سيئة بسبب تضييع حفظ هذه الضرورات فى الدين والنفس والعقل والنسل والعرض والمال مع سعى مفكرى العالم الحثيث ودعاة الاصلاح فيه إلى وقاية الأمم من الأضرار ومعالجتها ، وقد طرقوا كل باب من الأبواب التى عنت لهم ، ولكنهم لم يهتدوا إلى الباب الوحيد الذى

---

(١) الاسراء : ٩

(٢) البقرة٢٢١

يمكنهم إذا ولجوه أن يجدوا بغيتهم فيه وهو باب الإسلام العظيم الذى عنى عناية لا يوجد لها مثيل بحفظ هذه الضرورات ، وليس ذلك بغريب لأنه من عند الله العالم بما فيه صلاح عباده وفوزهم .

السبب الثالث : أن هذه الضرورات يتكرر ذكرها فى كتب أصول الفقه وفى شروح الحديث وكتب التفسير وكتب الأخلاق وغيرها ، ولكنها لم تفرد فيما أعلم بمؤلف مستقل يبين شأنها ويوضح خطرها ، ويذكر لكل واحدة منها أمثلة من أبواب الفقه لتقع موقعها فى نفوس المسلمين وغيرهم ويعلموا أن السعادة كل السعادة فى حفظها والشقاء كل الشقاء فى التفريط فيها .

هذه بعض الأسباب التى دعتنى إلى الكتابة فى هذا الموضوع الخطير الذى أرجو الله تعالى أن يسدد خطاى فى مسيرتى فيه وفى غيره وأن يكتب لى الأجر ويجعل العمل خالصاً لوجهه الكريم ، كما أساله تعالى أن ينفع به قارئه أينما كان وينفع الناس كلهم به ، وأرجو من كل قارىء أن يغفر الزلل ويدعو للكاتب بالمغفرة والرحمة ، وأن يبذل له نصحه إذا رأى خطأ ـ وما اخاله إلا واجدا ، لأن ذلك من طبيعة البشر ـ فكتاب الله وحده هو الذى سلم من الخطأ ، لأنه منزل من الله العزيز الحكيم . وقد سميته « الإسلام وضرورات الحياة » .

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة وخمسة فصول ، تحت كل فصل عدة مباحث ، وخاتمة ، وهى كما يأتى :

* * *

الفصـــل الأول : حفظ الدين

وفيه ستة مباحث :

المبحث الأول : وجوب العمل به

المبحث الثانى : وجوب الدعوة إليه

المبحث الثالث : وجوب الحكم به

المبحث الرابع : وجوب الجهاد لرفع رايته

المبحث الخامس : عدم قبول مايخالفه

المبحث السادس :أمثلة من أبواب الفقه للدلالة على حفظ هذا الدين .

الفصـــل الثانى : حفظ النفس

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : بعض النصوص الدالة على تحريم الاعتداء على النفس بغير حق .

المبحث الثانى : كلام بعض العلماء فى خطر قتل النفس بغير حق .

المبحث الثالث: تحريم اعتداء الإنسان على نفسه.

المبحث الرابع : جواز تناول المضطر ما هو محرم عليه لإنقاذ حياته.

المبحث الخامس: وجوب التأكد من توافر شروط القتل في إزهاق النفس.

المبحث السادس: ضرورة إقامة البينة فى القصاص.

المبحث السابع: تأخير قتل من وجب قتله إذا خشى من قتله ضرر على غيره .

المبحث الثامن: عدم قتل غير المكلف وان أتى ما يستحق به القتل لو كان مكلفا.

المبحث التاسع: وجوب ربط إقامة الحدود بالامام أو نائبه.

المبحث العاشر: وجوب سد الذرائع المؤدية إلى القتل.

الفصـــل الثالث : حفظ النســـل

وفيه عشرة مباحث :

المبحث الأول : حب الله حفظ النسل وبقاءه

المبحث الثانى : ترغيب الرسول صلى الله عليه وسلم فى كثرة النسل

المبحث الثالث : الترغيب فى النكاح

المبحث الرابع : التحذير من التبتل والرغبة عن النكاح

المبحث الخامس : تحريم قتل الأولاد وإجهاض الحوامل بدون ضرورة .

المبحث السادس : مقارنة موجزة بين عناية الإسلام بحفظ النسل ، وجناية النظم البشرية عليه .

المبحث السابع : بيان الشارع المصالح العائدة إلى الآباء من حفظ النسل فى الدنيا والآخرة .

المبحث الثامن : العلاقة بين حفظ النسل وحفظ النسب والهدف من حفظهما .

المبحث التاسع : أسباب كون حفظ النسب ضرورة .

المبحث العاشر : الوعيد الشديد على نفى النسب أو إثباته على غير الواقع .

المبحث الحادى عشر : حفظ العرض

الفصـــل الرابع : حفظ العقل

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : العقل من أعظم نعم الله على الإنسان .

المبحث الثانى : العقل مناط التكليف .

المبحث الثالث : مفسدات العقل التي يجب حفظه منها .

الفصـــل الخامس : حفظ المال

وفيه سبعة مباحث :

المبحث الأول : المال مال الله .

المبحث الثانى : مشروعية السعى فى تحصيل المال واقتنائه .

المبحث الثالث : التزام السعى المشروع فى طلب المال وكسبه .

المبحث الرابع : اجتناب المكاسب المحرمة .

المبحث الخامس : إنفاق المال فى الأوجه المشروعة .

المبحث السادس : أداء الحقوق إلى أهلها .

المبحث السابع : حماية الأموال من السفهاء والمبذرين .

الخاتمة : فى نتائج البحث .

* * *

المقدمة

لقد حصر العلماء ، رحمهم الله تعالى الضرورات التى لاحياة بدونها فى كليات خمس ، تندرج فيها كل الجزئيات اللازمة للحياة ، وهذه الضرورات مراعاة فى كل الشرائع ، والقوانين البشرية ، لأن ضرورتها لا تخص أمة دون أمة ، بل هى لجميع المخلوقين بمنزلة الهواء الذى إذا فقده الإنسان انقطعت حياته ، وإذا حصل اختلاف بين الأمم فى حفظ هذه الضرورات فإنما هو فى كيفية حفظها ، لا فى أصله .

هذه الضرورات هى : الدين ، والنفس ، والنسل ، والعقل ، والمال ، وهناك ضرورة سادسة ، اعتبرت فى الشرائع السماوية ، وعند الأمم التى احتفظت ببقية من فطرة ، وهى حفظ العرض ، وإذا كانت بعض الشعوب قد فسدت فطرها فلم ترعها ، فإن ذلك لايدل على كونها ليست ضرورة فى حد ذاتها ، وإنما عدم رعاية تلك الشعوب لها يدل على فساد فطرتها ، وتتضمن هذه المقدمة بحثين :

المبحث الأول

بعض الأدلة من الكتاب والسنة
على العناية بحفظ هذه الضرورات إجمالاً

إن الذى يتأمل كثيراً من نصوص الكتاب والسنة يجد فيها العناية الكاملة بحفظ هذه الضرورات من ذلك قوله تعالى : « قُل تَعالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ عَلَيكُمْ رَبُّكُمْ أَلاّ تُشرِكُوا به شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إحْسَاناً ، ولاتَقْتُلوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وإيَّاهُمْ ، وَلاَتَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، ولاَتَقْتُلُوا النَّفْسَ التى حَرَّمَ الله إلاَّ بِالحَقّ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، ولاَ تقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلاّ بالتى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ، وَأَوْفُوا الْكَيْلَ والْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ، لاَنُكَلِّفُ نَفْساً إلاَّ وسْعَهَا ، وإذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ، وَبِعَهْدِ الله أَوْفُوا ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ به ، لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ، وَأَنَّ هَذَا صِراطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَتتبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ، ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ »[1] .

فى هذه الآيات الكريمة تظهر العناية بحفظ هذه الضرورات جلية واضحة .

فقد جاء فى حفظ الدين نهيه سبحانه عن الشرك به ، وهو يشمل جميع أنواع الشرك : الشرك به فى ربوبيته ، والشرك به فى ألوهيته ، والشرك به فى أسمائه وصفاته ، والشرك به فى حاكميته ولايكون الانسان بريئا من الشرك به إلا إذا حقق توحيده فى الربوبية والألوهية ـ ومنها الحاكمية ـ والأسماء والصفات ، وذلك ماتضمنته أو استلزمته كلمة التوحيد وهو معنى قوله سبحانه وتعالىٰ : « وَاعْبُدُوا الله وَلاَتُشرِكُوا بِهِ شَيْئاً »[2] وأمثالها من الآيات .

---

(١) الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣ (٢) النساء : ٣٦

وجاء فى حفظ النفس قوله تعالى : « وَلاَتَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ مِنْ إمْلاَقٍ » وقوله تعالى : « وَلاَتَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ الله إلاَّ بِالْحَقِّ » ، ووجه الاستدلال بهذه من ناحيتين : الناحية الأولى : النهى عن قتل النفس التى حرم الله بغير حق . والناحية الثانية : مايفهم من شرع قتل النفس التى حرم الله بالحق ، فإن فى قتل النفس بالحق حفظاً للنفس فى باب القصاص ، وحفظاً للدين فى باب الردة ، وحفظاً للنسل فى باب الرجم .

وجاء حفظ النسل فى قوله : « وَلاَتَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ » ومن أعظم الفواحش الزنا الذى وصفه الله تعالى فى آية أخرى بأنه فاحشة كما قال تعالى : « وَلاَتَقْرَبُوا الزِّنَا إنّه كَانَ فاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً »[٣] .

ويمكن إدخال حفظ العرض فى حفظ النسل ، لأن حفظ النسل إنما يحصل بالزواج الشرعى ، وفى الزواج الشرعى حفظ للعرض ، وإذا اعتدى على النسل لزم منه الاعتداء على العرض وكذلك النسب .

وجاء حفظ المال فى قوله تعالى : « وَلاَتَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إلاَّ بِالّتى هِىَ أَحْسَنُ حتى يَبْلُغَ أَشدَّهُ » وقوله عز وجل : « وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ » .

وأما حفظ العقل فانه يؤخذ من مجموع التكليف بحفظ الضرورات الأخرى ، لأن الذى يفسد عقله لايمكن أن يقوم بحفظ تلك الضرورات ، كما أمر الله ، ولعل فى قوله سبحانه وتعالى فى ختام الآية الأولى : « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » مايدل على ذلك .

ويجب التنبيه هنا إلى أن العناية بحفظ الضرورات فى الإسلام يعتبر ديناً وعبادة لله تعالى ، وليست مجرد تشريع قانونى دعت إليه الضرورة فى حد ذاتها ، كما هو الحال فى النظم البشرية ، ويظهر ذلك من قوله تعالى : « ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون » فى ختام الآية الأولى ، وقوله تعالى : « ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون » فى ختام الآية الثانية وقوله تعالى : « ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » فى ختام الآية الثالثة ، وكذلك من قوله تعالى : « وان هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه

---

(٣) الاسراء : ٣٢

ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله». قال ابن عباس رضى الله عنهما فى هـذه الآيات: «هـذه الآيات محكمـات فى جميـع الكتب، لم ينسخهن بشيء، وهن محرمات عـلى بنى آدم كلهم وهن أم الكتاب من عمـل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار»[1].

فحفظ هذه الضرورات وصية من الله لعباده يثابون على القيام به ويعاقبون على التفريط فيه.

ومن ذلك قول الله تعالى: «وَقَضى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ، وَبِالْوَالِدَيْـنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَتَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لهما قولاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُما جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل ربِّ ارْحَمْهُمَا كَما رَبَّيَانِى صَغِيراً، رَبُّكُم أَعْلَمُ بِما فى نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ للأوابين غَفُوراً، وآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسكِينَ وابنَ السَّبِيلِ وَلاَتُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إِنَّ المبذِّرين كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّه كَفوراً، وإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاء رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوها فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً، ولاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلى عُنُقِكَ ولاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاء ويَقدِرُ إِنَّه كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خطئاً كَبِيراً، وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاء سَبِيلا، وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ الله إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلاَ يُسرِفْ فِى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً، وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيم إِلاَّ بالتى هِيَ أَحْسنُ حتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وأوفُوا بالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً وَأَوفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بالْقِسْطَاسِ المسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وأَحْسَنُ تَأْوِيلاً، ولا تقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِن السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤادَ كُلُّ أولَئك كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً»[2].

ويظهر من هذه الآيات ـ أيضا ـ العناية بالضرورات المذكورة.

---

(١) تفسير الإمام البغوى المسمى بمعالم التنزيل (٢/١٤٢) نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٢) الاسراء: ٢٣ ـ ٣٦

فقد جاء ما يدل على حفظ الدين فى مطلعها فى قوله تعالى : « وقضى ربك ألاّ تعبدوا الاّ إياه » وفى آخر آية منها بشمولها الدال انه لا يجوز اتباع شىء بدون علم ، وهو يشمل الاعتقاد والقول والعمل ، فلا يجوز ان يتبع إلاّ ما كان عن علم أنه حق ، وذلك لا يكون إلا ما جاء به الاسلام : « ولا تَقْف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا » .

وجاء حفظ المال فى قوله تعالى : « وآت ذا القربى حقه » إلى قوله : « إنه كان بعباده خبيرا بصيرا » حيث أمر بايصال حقوق من ذكر من القرابة والمساكين وابن السبيل اليهم ، ونهى عن التبذير والبخل ، وكذلك فى قوله تعالى : « ولا تقربوا مال اليتيم » إلى قوله : « وأحسن تأويلا » ، فقد نهى تعالى عن التصرف فى مال اليتيم بغير ما هو فى مصلحته ، حتى يصبح راشدا قادرا على التصرف الحسن فى ماله ، وأمر بالعدل فى المعاملة بايفاء الكيل والوزن .

وجاء حفظ النفس فى قوله تعالى : « ولاتقتلوا أولادكم » وقوله : « ولاتقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق » .

وجاء حفظ النسل والنسب والعرض فى قوله تعالى : « ولا تقربوا الزنا » ويدخل حفظ العرض ايضا فى قوله تعالى : « ولا تقف ما ليس لك به علم » بل هى أشمل من ذلك كما قدمنا .

وهكذا لو تتبعنا آيات القرآن الكريم لوجدناها قد ملئت بالعناية بحفظ هذه الضرورات غاية العناية فى ترغيبها وترهيبها ، وأمرها ونهيها ، ووعدها ووعيدها ، وحلالها وحرامها ، وكل احكامها .

ولعل فى هذه الآيات المذكورة ما يكفى ليقاس عليها غيرها مما شابهها .

وأما الأحاديث النبوية التى عنيت بهذه الضرورات بأساليب متعددة ، فإنها لا تحصى كثرة ، ويكفى ذكر بعضها ـ كذلك ـ ليقاس عليه ما سواه .

فقد بين الرسول ﷺ أن الاعتداء على هذه الضرورات أو بعضها سبب للهلاك والدمار ، كما فى حديث أبى هريرة ، رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل : يا رسول الله وما هُنّ ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل

الربا ، والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات »[1] .

فى هذا الحديث أن الاعتداء على الدين وعدم حفظه مهلكة ، وذلك مأخوذ من قوله ﷺ : « الشرك بالله والسحر » وكذلك قوله : « والتولى يوم الزحف » لأن فى التولى عن قتال العدو ومصابرته تضييعا للدين وكذلك الاعتداء على النفس من المهلكات كما هو واضح من قوله : « وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق » .

والاعتداء على العرض مهلكة وقد بينه بقوله ﷺ : « وقذف المحصنات ... » ويدخل فيه من باب اولى الاعتداء على النسل والنسب .

والاعتداء على المال وقد ظهر من قوله ﷺ : « وأكل مال اليتيم ... وأكل الربا » وهما مثالان لظلم الأقوياء للضعفاء ، لأن اليتيم ضعيف لصغر سنه وضعف عقله وعدم قدرته على حسن التصرف فى ماله ووصيه والقائم عليه قوى قادر على حسن التصرف فى ماله أو الاساءة فيه ، ولأن آخذ الربا لا يكون إلاّ صاحب مال قادرا على قرض مبلغ معين زائد على حاجته للمحتاج الذى اضطر للاقتراض للانفاق على نفسه وعياله .

وقد سمى ﷺ الاعتداء على هذه الأمور موبقا أى مهلكا ، ولا يكون مهلكا إلا إذا كان حفظ الأمر المعتدى عليه ضرورة من ضرورات الحياة .

وقد جعل ﷺ الاعتداء على هذه الأمور اعظم الذنوب ، كما فى حديث عبدالله بن مسعود ، رضى الله عنه ، قال : سألت رسول الله ﷺ : « أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » قلت : إن ذلك لعظيم ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك » قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تزانى حليلة جارك »[2] .

---

(١) البخارى (١٩٥/٣) ومسلم (٩٢/١) .

(٢) البخارى (٧٥/٧) ومسلم (٩٠/١) .